بسم الله الرحمن الرحيم

[تفريغ المجلس ٠٢]

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا- أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله تعالى، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

كنا شرعنا يوم أمس في الكلام على الحديث الأول من أحاديث الأربعين النووية، وهي منسوبة للإمام النووي رحمه الله تعالى، وذكرنا المقدمة حول ذلك، وانتهى بنا الكلام عند بيتين يجمعان أربعة أحاديث عليها مدار الدين، وهو قول بعضهم:

عمدة الدين عندنا كلمات * أربع من كلام خير البرية**

اتق الشبهات وازهد ودع ما * ليس يعنيك وعملنّ بينة**

فهي أربعة أحاديث -قالوا- عليها مدار الدين، وهناك أقوال أخرى سبق ذكرها، **(ومن يتق الشبهات)**، و**(إن الحلال بين وإن الحرام بين)**، وحديث **(ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس)**[1]، وحديث **(من حسن المرء تركه ما لا يعنيه)**، وحديث **(إنما الأعمال بالنيات)**، وذكرنا شيئا مما قدّمنا به بين يدي هذا الحديث، وذكرنا لكم أيضا لفظ الحديث في الصحيحين، والصحابي الذي روى هذا الحديث وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

[غرابة الإسناد في حديث "إنما الأعمال بالنيات"]

والحديث يعتبر من أحاديث الغرائب، هو حديث غريب، فلم يروه بلفظه من الصحابة إلا عمر، وإن كان جاء في ألفاظ أخرى لكنها معلّة وضعيفة ضعفا شديدا، من طريق أبي سعيد الخدري، وغيره من الصحابة، لكن كلها معلّة، وقد أخرجها البزار وأعلّها أهل العلم، والطريق الصحيح إنما هي طريق

[1] [صحيح الجامع ٩٢٢: صحيح]

عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلم يرو هذا الحديث من الصحابة إلا عمر، ولم يروه عن عمر إلا علقمة بن وقاص الليثي، ولم يروه عن علقمة إلا محمد بن إبراهيم التيمي، ولم يروه عن محمد بن إبراهيم إلا يحي بن سعيد الأنصاري، والثلاثة: يحي، ومحمد، وعلقمة، من التابعين، وإن كان علقمة من كبارهم، ويحي من صغارهم، ومحمد من أوسطهم، هذا الإسناد اجتمع فيه ثلاثة من التابعين، وتفرّد بروايته هؤلاء، فلم يروه من الصحابة إلا عمر، ولا عنه إلا علقمة، ولا عنه إلا محمد بن إبراهيم، ولا عنه إلا يحي بن سعيد الأنصاري رحمة الله على الجميع.

فهو حديث غريب، ومع ذلك أودعه البخاري في صحيحه، ذكره، قال أهل العلم إشارة إلى أن الحديث وإن كان تفرد بروايته واحد، فإن كان قد توفرت فيه شروط الصحة، فإنه حديث ثابت، ويكون صحيحا، كأن البخاري أشار إلى ذلك، وأن الحديث الغريب إذا صح وتوفرت فيه شروط الصحة، فإنه يكون ثابتا صحيحا، ومن غريب صنيع البخاري أنه ابتدأ صحيحه بحديث غريب، وختم صحيحه بحديث غريب، فابتدأ الصحيح بحديث **(إنما الأعمال بالنيات)** وهو غريب، وختم صحيحه بحديث **(كلمتان خفيفتان على اللسان حبيبتان إلى الرحمن ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم)**، وهذا لم يروه إلا أبو هريرة رضي الله عنه، ولا عنه إلا أبو زرعة بن جرير أو نحوه، فتفرد ذاك بالرواية عنه، كما أنه ضمّن صحيحه بعض الغرائب، فحديث **(نهى عن بيع الولاء وهبته)** لم يروه من الصحابة إلا ابن عمر، ولا عنه إلا عبد الله بن دينار، وأيضا حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة وعلى رأسه المغفر، فقيل له إن ابن الأخطل تعلق بأستار الكعبة قال (اقتلوه)، لم يروه من الصحابة إلا أنس، ولا عنه إلا الزهري، وأيضا أحاديث أخرى، وهذا يدل على أن من الغريب ما هو صحيح، والمراد بالغريب الذي اصطُلح عليه:

.... * وقلْ غريب ما روى راوٍ فقط**

وهذه الغرابة مطلقة أو نسبية كما هو معروف في مصطلح الحديث، فإذا تفرّد الراوي برواية الحديث، لكن توفّر فيها شروط الصحة، فإنه يعدّ صحيحا، مع العلم أن غالب الغرائب ضعاف، ولهذا كان السلف يحذّرون من الغرائب، وغالبها ضعيف، والغالب في قولهم **(حديث غريب)** أي استضعافه، أو الإشارة إلى ضعفه، وهذا هو الغالب في اصطلاح الترمذي، في قوله في سننه **(هذا حديث غريب)** فإنه

يقصد به الضعيف، ومثله أيضا -فيما يبدو- في كلام الحافظ ابن كثير في تفسيره في قوله (**حديث غريب**).

فالحاصل أن الحديث قد تفرّد به عمر، وعنه من ذكرناه، ثم بعد يحي بن سعيد الأنصاري انتقل، واشتهر في الأمصار، رواه أهل المدينة ورواه أهل مكة، ورواه أهل الشام، ومصر، والعراق، وغيرها، انتشر وكثرت طرقه.

[حديث "إنما الأعمال بالنيات" متواتر معنوي.]

وأما معناه فدلّت عليه الكثير من النصوص الشرعية، في اعتبار النية بقسميها، وهما: تمييز عمل عن عمل -عبادة كانت أو عادة- أو تمييز معبود عن معبود -أي الإخلاص وقصد الله تعالى بالعبادة-، فهذا المعنى قد دلت عليه نصوص كثيرة، ولهذا يعدّ بعض أهل العلم أن هذا الحديث من المتواتر المعنوي، يعني معناه المقرر قد تواتر، ودلّت عليه نصوص كثيرة.

[ضرورة تنبيه الناس على]

في بعض الروايات أن عمر رضي الله عنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم أن علقمة سمع عمر يقول الحديث على المنبر، وأيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله على المنبر، وهذا فيه فائدة التحديث بهذا الحديث على المنبر، بمعنى فائدة وضرورة ولزوم تنبيه الناس على ضرورة الإخلاص لله جلّ وعلا، وأن الإخلاص أصل عظيم في الشرع، بل هو أصل الدين، لأن الله جل وعلا حصر فيه الدين كما قال تبارك وتعالى ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ الزمر: ٣، وقال تعالى ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ الزمر: -١٢-١١، أن أخلص لله ديني، وقال جل وعلا ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ البينة: ٥، فالتحديث بهذا الحديث على المنبر وتعليم الناس إياه من الضرورة بمكان.

[الحصر الذي أفادته لفظة (إنما)]

فيقول النبي صلى الله عليه وسلم (**إنما الأعمال بالنيات**)، (**إنما**) أداة حصر تفيد الحصر، والحصر هو: قصر الحكم على شيء دون ما عداه، وقصر الحكم على الشيء دون ما عداه قد يكون مطلقا، وقد

يكون مقيدا، فقوله جل وعلا ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾ الرعد: ٧، أي أنك لست بإله، ولستَ بمجبر للناس وحامل لهم على الإيمان، لكن غاية رسالتك أنك تنذر الناس، فالحصر هنا المراد به هذا الشيء، لا يعني أنه فقط منذر وليس غيره، المراد الحصر في النذارة أنه ليس بإله أو مسيطر على الناس ونحوه، هذا المراد من الحصر.

(**إنما**) أداة حصر، والحصر قصر الحكم على الشيء دون ما سواه، وهي أداة حصر بكلّها (إنّما) و(ما) هنا كافة أي كفّت (إنّ) عن العمل، فصارت (إنّ) لا تعمل النصب، تقول (إن الأعمالَ بالنياتِ)، فلما جاءت (ما) أبطلت عمل (إنّ) فصارت (إنما الأعمالُ) مع أن الأصل (إنَّ الأعمالَ)، فـ(ما) هنا كافة، وليست نافية، ولا هي بمعنى (الذي) كما في قوله جل وعلا ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾طه٦٩، أي إن الذي صنعوه، و ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾الطور١٦، أي إن الذي تجزون هو الذي كنتم تعملون، أما هنا فـ(ما) كافة ودخولها على (إن) أفادت الحصر، فصارت (إنما) كلها.

(**إنما الأعمال**) والحصر هنا هل هو بالمنطوق أو بالمفهوم؟ هل لفظة (إنما) هي التي تدل على الحصر؟ أو يفهم منها الحصر؟

١= جمهور العلماء على أن الحصر مفهوم من المنطوق، أي من اللفظ نفسه، من المنطوق وهو (دلالة المعنى في محل النطق).

٢= وذهب بعض الأصوليين إلى أنه بالمفهوم.

[الفرق بين (النية) و(القصد) و(الإرادة)]

(**إنما الأعمال**) جمع عمل، والعمل يشمل القول والفعل، ويشمل أيضا الترك، ولهذا مثّل النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة، والهجرة ترك، الهجرة انتقال من شيء إلى آخر، فدل على أن الترك داخل في العمل.

(بالنيات) النيات جمع نية، وأصلها نِوْية بالواو لأنه يقال (نوى، ينوي، نِويَةً)، فقلبت الواو ياء، وأدغمت في الياء التي بعدها، فصارت (نيَّة) وهي بمعنى القصد هنا، هنا المراد بها القصد والإرادة، يعني متقاربة في المعنى وإن كان، إذا أردنا أن نحدّد المعنى، فالقصد خلاف النية، والإرادة خلاف النية، تقول: نويت

أن أفعلَ كذا، وأردتُ أن أفعل كذا، وتقول: أردت من فلان كذا، ولا تقل: نويت من فلان كذا، فالنية خاصة بالإنسان، والإرادة تجمع الإنسان وغيره.

ومثل ذلك القصد، تقول: نويت كذا، وقصدتُ كذا، فالنية لما يتعلق بالشخص، ويكون له فيه دخل، والقصد كذلك، لكن قد يكون القصد من غيرك، قصدتُ منه كذا، هو فعل غيرك وليس لك فيه دخل، لكن هاهنا المعنى متقارب، فـ**(إنما الأعمال بالنيات)** جمع نية أي القصد والإرادة.

[الهجرة وأحكامها]

(وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوَى، فمنْ كانتْ هجرتُه إلَى اللهِ ورسولِه) الهجرة، هاجر يهجر هجرة بمعنى ترك، والهجرة إلى الله ورسوله أن يريد الله جل وعلا ورسوله، وأن يريد وجه الله تبارك وتعالى، وثواب الله جل وعلا.

وأصل الهجرة هي ترك دار الكفر والانتقال إلى دار الإسلام، كما هاجر الصحابة رضوان الله عليهم، وأول هجرتهم هي الهجرة الأولى إلى الحبشة، وكان فيها نحو من اثني عشر مهاجر رجالا ونساء، والهجرة الثانية إلى الحبشة، وكان فيها نحو من ثمانين مهاجر، ثم صارت الهجرة بعد ذلك إلى المدينة، بعدما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم، هاجر من مكة إلى المدينة، وصارت المدينة دار الإسلام والإيمان، وكانت لاتزال مكة دار كفر، فكان الصحابة مطالبين بالهجرة، وفي ذلك نزل قول الله تبارك وتعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ﴾النساء٩٧، هؤلاء في من لم يهاجر، فوقع أن أصيبوا في بعض الغزوات، وأخرجوا عنوة من مكة لمقابلة المسلمين، وهذه الهجرة أيضا تدل على معنى ترك ما حرّم الله جل وعلا، قال صلى الله عليه وسلم **(والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)**[1].

ولا تزال الهجرة دائمة إلى يوم القيامة، أي ترك دار الكفر والرحلة إلى دار الإسلام، أو من دار الشرك أو من دار الحرب إلى دار الإسلام، باقية إلى قيام الساعة، **(فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا)** أي يتزوجها **(فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ)**، هذا شرح غريب أو بعض ألفاظ الحديث.

[1] [مسند الإمام أحمد ١٢٩/١١، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح]

[الإخلاص أصل هذا الدين]

فهذا الحديث يعتبر أصلا في أعمال القلوب (**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**)، يعتبر أصلا من الأصول في أعمال القلوب، وقد اعتبره العلماء قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، قالوا: القاعدة هذه هي (**الأعمال بالنية**) أو (**بالنيات**)، وبعض أهل العلم يعبر عنها بقاعدة أخرى تسمى قاعدة فقهية وهي (**الأمور بمقاصدها**)، وحقيقة هذه القاعدة أنها مأخوذة من حديث (**الأعمال بالنيات**) هذا أصلها، ولهذا من العلماء من يعبر عنها باللفظ الحديثي (**الأعمال بالنيات**)، فهذا الحديث أصل من أصول أعمال القلب، وهو الكلام على النية، والإخلاص.

فتطلق النية ويريد بها العلماء الإخلاص، وتطلق النية ويراد بها العلماء تمييز عمل عن عمل، فأما بالإطلاق الأول، الاعتبار الأول ألا وهو الإخلاص، فقلنا هذا هو أصل الدين ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ الزمر٣، ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾﴾ الزمر١١، ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ غافر١٤، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ البينة٥، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴿٣٦﴾﴾ الرعد٣٦، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ الكهف١١٠، فالإخلاص أصل هذا الدين، أصل الدين مبني على الإخلاص، والاتباع للنبي صلى الله عليه وسلم، فصار الإخلاص أصل عظيم في هذا الدين، ولذلك من كان غير مخلص في عمله فلا اعتبار لعمله، لا يعتبر عمله.

[لا يقال فلان شهيد!]

ولهذا لما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: الرجل يقاتل حمية وشجاعة أي ذلك في سبيل الله؟ قال (**من قاتَل لتكون كلمةُ اللهِ هي العُليا، فهو في سبيل اللهِ**)[١]، فهذا إن مات نحتسب له الشهادة في سبيل الله، قاتل من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا، هذا إذا مات نحتسب له الشهادة في سبيل الله، نحسبه شهيدا، ونعامله معاملة الشهيد في الدنيا، مع أننا لا نجرؤ أن نقول: فلان شهيد في سبيل الله، لا يقال

---

[١] [رواه الشيخان]

هذا، كما قال البخاري في صحيحه **(باب لا يقال فلان شهيد)** وذكر الحديث، لأن النية لا يعلمها إلا الله، ولهذا ذكر البخاري في صحيحه **(باب لا يقال فلان شهيد)** وذكر حديث سلمة بن الأكوع أو غيره وأنهم كانوا في غزوة وقد قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: ما رأينا مثل فلان لا يترك للعدو شاذة ولا فاذة إلا وأتى عليهم، فقال صلى الله عليه وسلم **(هو في النار)** فتعجب الصحابة، يعني هذا قاتل معنا ضد الكفار وقد أبلى فينا بلاء عظيما، إذا كان هو في النار أين نحن؟ فالصحابة تكلموا في هذا، فقال أحدهم: أنا آتيكم بخبره، فتتبع هذا الرجل الذي قاتل قتالا شديدا، فوجده لما أثخنته الجراح، ضرّته الجراح وكثرت فيه الضربات، جاء بسهمه فوضعه في زبيبة صدره أو بين صدره، واتكأ عليه حتى خرج من ظهره، أي أنه قتل نفسه، فجاء الرجل جريا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أشهد ألّا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله، فقال صلى الله عليه وسلم **(وممَ ذاك؟)** قال: الرجل الذي قلت فيه كذا وكذا قد تكلم بعض أصحابك فقلت أنا آتكم بخبره، وإن من خبره أنه فعلا كذا وكذا، وذكر القصة، فقال صلى الله عليه وسلم **(إنَّ الرجلَ ليعملُ عملَ أهلِ الجنةِ فيما يبدو للناسِ وهو مِن أهلِ النارِ. وإنَّ الرجلَ ليعملُ عملَ أهلِ النارِ فيما يبدو للناسِ وهو مِن أهلِ الجنةِ)**[1].

[غنى الله تعالى عن الشرك]

فهذا يدل على عظم الإخلاص، وأنه إذا انتفى لا اعتبار للعمل، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم أن ربنا جل وعلا يقول في الحديث القدسي **(أنا أغنَى الشركاءِ عن الشركِ. مَن عمِل عملًا أشرك فيه معِي غيرِي، تركتُه وشركَه)**[2]، وقال صلى الله عليه وسلم **(بشِّرْ هذهِ الأُمَّةَ بالسَّناءِ والدِّينِ والرِّفعةِ، والتَّمكينِ في الأرضِ، فمَن عمِلَ منهُم عَمَلَ الآخرةِ للدُّنيا، لَم يكُن لهُ في الآخرةِ مِن نصيبٍ)**[3]، ولهذا قال جل وعلا ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ الشورى٢٠، وقال جل ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ الإسراء١٨، وقال جل وعلا ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ الفرقان٢٣، لأنه لم يكن لله عز وجل

[1] [نحوه في الصحيحين]
[2] [صحيح مسلم ٢٩٨٥]
[3] [صحيح الترغيب ٢٣: صحيح]

[خطر الرياء]

وسألت المرأة النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسولَ اللهِ، ابنُ جُدْعانَ كان في الجاهليَّةِ يصِلُ الرَّحِمَ ويُطعِمُ المسكينَ فهل ذاك نافِعُه ؟ قال: **(لا ينفَعُه لم يقُلْ يومًا: ربِّ اغفِرْ لي خطيئتي يومَ الدِّينَ)**[1]، عمله ليس لله عز وجل، لم يكن مؤمنا بالله تبارك وتعالى، ولهذا كان أخوف ما يخافه النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الأمة هو الشرك الأصغر الرياء، الشرك الخفي الرياء، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم **(أنْ يقومَ الرجلُ فيُصَلِّيَ فُيُزَيِّنَ صلاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رجلٍ)**[2]، يعني يرى الناس ينظرون إليه فيزين صلاته، ويرى الناس ينظرون إليه فيزين من أفعاله، ومن فعل كذا، وكذا، رياءً، والرياء مأخوذ من رأى يرى، ورآء فاعَل أي أظهر للناس عمله ليروه، وهذا أمره عظيم فأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول **(من راءى راءى الله به يوم القيامة، ومن سمع سمع الله به يوم القيامة)**[3]، الذي يفعل أعمالا يرائي بها الناس، ليروه، فإن الله عز وجل يرائي به يوم القيامة على مرأى من الناس، يراه الجميع بريائه هذا، والذي يسمّع يسمّع الله جل وعلا به.

ولهذا كان حرص السلف عظيما في تقويم نياتهم وهذا هو وجه ما يأتي في الآثار عن الصحابة الكرام، أن الواحد فيهم كان يخاف على نفسه النفاق، المنافق الذي يعمل الأعمال ثم يرى أنها كمثل ذبابة وقعت على أنفه ففعل هكذا -أي ذبّها بيده-.

لكن حقيقة الإيمان ترتكز على التعظيم والخوف والمحبة، الذي يكون معظما لله عز وجل فيعظم الفعل الذي يقع فيه، سواء كان تركا لواجب، أو وقوعا في محرّم، فيراه عظيما جدا، ويستشكل ويستصعب زواله، كيف يذهب؟ كيف يزول؟ ليس بالأمر الهين، أما الذي داخله النفاق وهو غير معظم لله جل وعلا، يرى فعله ذبابة وقعت على جسمه ففعل هكذا، فزالت، هذا وجه تخوّف السلف الصالح رضوان الله عليهم.

---

[1] [صحيح الجامع ٧٨٢٦: صحيح]
[2] [صحيح الجامع ٢٦٠٧]
[3] [رواه الشيخان]

[النية أبلغ من العمل]

ولهذا قال يحي ابن أبي كثير (**تَعَلَّمُوا النِّيَّةَ فَإِنَّهَا أَبْلَغُ مِنَ الْعَمَلِ**)[1]، النية شيء عظيم جدا، وقد يبلغ بنيته مالا يبلغ بعمله، والدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في غزوة تبوك للصحابة، وقد خرجوا وابتعدوا عن المدينة ومشوا وساروا وقطعوا ما قطعوا، وأنفقوا النفس والمال، وتركوا الأهل والأولاد، وقال لهم صلى الله عليه وسلم وهم في بعد عن ذويهم، (**إنَّ بالمدينةِ لرجالًا ما سِرتُم مسيرًا ولا قطعتُم واديًا ، إلا شرَكوكم في الأجرِ**)[2]، يقول صلى الله عليه وسلم: أنتم هنا في غزوة، تمشون وتقطعون الوديان، ويصيبكم ما يصيبكم، بذلتم النفس والمال، وتركتم الأهل والأولاد، لكن هناك أناس تركناهم في المدينة، ما خرجوا معنا، وإنهم ليشاركونكم في الأجر، بماذا شاركوهم؟ (**حبسهم العذر**)، الذي منعهم من الخروج هو العذر، ولولا العذر لكانوا من المتقدمين، لهذا قال تبارك وتعالى ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ التوبة٩٢، ما عندهم ما فيه يخرجون إلى الجهاد، المانع لهم العذر، أما نياتهم فإنهم يبلغون بها مبالغ عظيمة، وعظيمة جدا.

ولهذا فالنية لابد من مداواتها ومداومة مراقبتها، ولهذا قال الإمام سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري رحمه الله (**مَا عَالَجْتُ شَيْئًا أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ نِيَّتِي؛ لِأَنَّهَا تَنْقَلِبُ عَلَيَّ**)[٣].

[تقلّب النية لتقلّب القلب]

النية تتقلب، والنية محلها القلب، والقلب سمي قلبا لشدة تقلّبه كما قال بعض العلماء، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عبد الله بن عمرو في صحيح مسلم (**إنَّ القلوبَ بينَ أصبعينِ من أصابعِ الرَّحمنِ جلَّ وعزَّ يقلِّبُها كيفَ يشاءُ**)[٤]، وهذا القلب يتقلب، ويقلبه الله جلّ وعلا كيف يشاء، بل إنه أشد تقلبا من القِدْر، قال صلى الله عليه وسلم وهو يتكلم عن القلب (**أَشَدُّ انْقِلابًا مِنَ الْقِدْرِ إذا اجتمعَتْ غَلْيًانًا**)[٥]، رأيت القِدر لمّا تضع فيه الماء يشتد الغليان، يعني يجاوز مائة درجة، يصل مائة درجة

---

١ [حلية الأولياء ٣٣٦٦]
٢ [رواه الشيخان]
٣ [جامع العلوم والحكم١/٧٠]
٤ [نحوه في صحيح مسلم ٢٦٥٤]
٥ [السلسلة الصحيحة ١٧٧٢]

ويصير لمدّة بعد ذلك يتقلب حتى يحدث صوتا كأنه يتكلم، لو أنك تنظر في ذاك الماء تجد له فقاعات تتقلب بشكل قوي جدا وسرعة، فالقلب أشد تقلّبا من ذلك.

ولهذا كان أفضل الخلق وسيد الخلق، وأتقاهم وأعلمهم بالله جل وعلا، وهو من أهل الجنة، النبي صلى الله عليه وسلم بل في أعلى درجات الجنة، يدعو الله تعالى فيقول (**يا مُقلِّبَ القلوبِ ثبِّت قلبي على دينِكَ**)[1]، (**اللَّهمَّ مُصرِّفَ القلوبِ صرِّف قلوبَنا على طاعتِكَ**)[2]، فالنية معالجتها ليست أمرا سهلا.

فأصل الدين الإخلاص، بل منبعه، لهذا النبي صلى الله عليه وسلم قال (**ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ وإذَا فَسَدَتْ، فسدَ الجسدُ كُلُّهُ. ألا وهِيَ القَلبُ**)[3].

[عظم العمل بعظم النية]

القلب محل النية، وهذه النية بها يتميز الناس، فالرجل عنده مال ينفقه يرجو وجه الله، وآخر ينفقه يرجو غير ذلك، فبينهما كما بين السماء والأرض، كما في الحديث (**إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ**) وذكر رجلا عنده مال ينفقه في الخير، صاحب علم، وصاحب مال ينفقه في الخير، ورجلا آخر عنده علم وليس له مال، يقول: لو أن عندي مال فلان لفعلت كما يفعل، قال (**فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ**) ورجل عنده مال ولا علم له، فينفقه بالباطل، وفي أمور الشر والفساد، لا في أمور الخير كالصدقات ونحوها، ورجلا آخر ليس له مال ولا علم، يقول (**لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ**) عياذا بالله (**فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ**)[4]، ما الذي ألحق هذا بذاك وهذا بهذا؟ بم لحقه؟ ليس إلا بالنية، (**فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ**) أو قال (**فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ**).

وعن يوسف بن أسباط قال (**تخليص النية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد**)[5]، وقال مطرف بن عبد الله (**صلاح القلب بصلاح العمل، وصلاح العمل بصلاح النية**)[6]، وقال ابن المبارك

---

[1] [صحيح الترمذي ٣٥٢٢]
[2] [صحيح مسلم ٢٦٥٤]
[3] [رواه الشيخان]
[4] [صحيح الترمذي ٢٣٢٥]
[5] [جامع العلوم والحكم (١٢)]
[6] [أورده ابنُ أبي الدُّنيا في "الإخلاص والنِّيَّة" ص٧٣]

(رُبّ عملٍ صغيرٍ تُعظّمه النِيّةُ، ورُبّ عملٍ كبيرٍ تُصغِّرُه النِيّةُ)[1]، فالأمر مرتكز على النية، التي محلّها القلب.

والقلب أمره عظيم عند الله تبارك وتعالى، ولهذا ينبغي على المسلم أن يراقب دائما نفسه، ونيته وأن يعالج قلبه، ولهذا قال الحسن البصري **(إنما يريد الله منكم قلوبكم)** يريد هذه القلوب أن تكون على طريق الله عز وجل، وإذا استقامت هذه القلوب استقام العمل، لأن العلاقة بين الظاهر والباطن لها ارتباط شديد، وملازمة عظيمة، فالظاهر عنوان الباطن، والباطن يدفع على ما هو ظاهر.

[أقسام العمل باعتبار طروء الرياء عليه]

والعمل إذا عمله الإنسان فنيته على أقسام:

١= من الناس من يكون أصل بداية عمله ونهاية عمله الرياء، يبدؤه مرائيا وينهيه مرائيا، وهذا عمل المنافقين كما قال تبارك وتعالى ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢﴾النساء١٤٢، وقال جل وعلا ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ٧﴾الماعون١-٦، وهذا عمل المنافق ما يكاد يصدر من المؤمن، وهو عمل حابط، لا أجر ولا ثواب لصاحبه.

٢= القسم الثاني من يكون عمله لله، ولكن يشاركه شيء من الرياء، فإن شاركه في أصل العمل فهذا عمل حابط، لقوله تعالى في الحديث القدسي **(أنا أغنَى الشركاءِ عن الشركِ. مَن عمِل عملًا أشرك فيه معِي غيرِي ، تركتُه وشركَه)**[2]، الحديث رواه مسلم من حديث أبي هريرة، وهذا قال به كثير من العلماء ومن الصحابة قال به عبادة بن الصامت وأبو الدرداء، وقال به من التابعين الحسن، وابن المسيب، وبعض العلماء يخالفون في ذلك، ويرون أن للعمل ثوابه، لكن الأصل إذا كان هذا العمل أصله فيه الرياء، فإنه يبطله ويذهب به.

٣= أما إن كان العمل لله عز وجل، وخالط العمل شيء من أمور الدنيا فلا يبطله بالكلية، ولكن ينقص بقدر ذاك الذي أراده، كما قال بعض أهل العلم فيمن يجاهد لله عز وجل، ثم يطمع أن يأخذ الغنيمة،

---

[1] [المصدر السابق]
[2] [صحيح مسلم ٢٩٨٥]

فأصل جهاده لله تبارك وتعالى، وهذه النية قد تكون منقصة من أجر عمله، بخلاف من كان جهاده لله عز وجل، خالصا ثم بعد ذلك أخذ الغنيمة فأعطوا منها كما كان حال الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، ومع ذلك فإنهم كانوا يرون أنه لا يأخذ مع أن الأخذ مشروع وقد شرعه الله فقال تعالى قَالَ تَعَالَى: ﴿۞وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾الأنفال٤١، الآية.

٤= أما إن كان أصل العمل لله ثم طرأ عليه الرياء:

أ= فإن خطر على نفسه ثم ذهب، جاهد نفسه ودفع به فهذا لا يضرّه، بل إنه يثاب على مجاهدته، هذه حالة أولى من هذا القسم.

ب= الحالة الثانية إذا استرسل مع هذا الرياء، فالعلماء بينهم في ذلك خلاف، فرجح الإمام أحمد وابن جرير الطبري أن العمل لا يبطل بل يجازى بنيته الأولى، وهذا منقول عن الحسن البصري وغيره، وهذا الكلام في العمل المتّصل الذي لا ينقطع بعضه على بعض، كالصلاة وغيرها، أما العمل المنقطع، فهاهنا إذا كان منه ما هو خالص لله عز وجل، فهو خالص، وأما ما طرأ عليه الرياء فإنه يبطل فيحتاج إلى أن يجدد النية لله تبارك وتعالى في ذلك، هذا العمل الذي قد يتقطع.

أما من عمل عملا لله بداية ونهاية يريد به وجه الله تبارك وتعالى فهذا أربع المقامات وأعلاها، وهذا الذي يريده منا تبارك وتعالى.

[عاجل بشرى المؤمن]

وفيه إشارة إلى أن من الناس من يعمل العمل لله عز وجل، ولكن يقع أن يقذف الله في قلوب الناس الثناء عليه، فيثنون عليه ولربما علموا ذلك العمل فيثنون عليه بخير، فمن عمل عملا فألقى الله بارك وتعالى الثناء في قلوب المؤمنين، فذاك من عاجل بشرى المؤمن، حتى لو فرح المؤمن بذلك فذاك فضل من الله، ورحمة منه تبارك وتعالى كما روى مسلم من حديث أبي هريرة أن الرجل قال: يا رسول الله إن الرجل يعمل العمل لا يطلع عليه أحد، فيصبح الناس يتحدثون بذلك، قال صلى الله عليه وسلم **(ذلك من عاجل بشرى المؤمن)**[١]، فلابد أن تفرّق بين هذا وبين ما يقوله العلماء أن عمل الإنسان يريد ثناء

[١] [صحيح مسلم ٢٦٤٢]

الناس، لا يجتمع إخلاص وحبّ الثناء، لا يجتمع أن تعمل عملا تنتظر من ورائه أن يثني عليك الناس ويمدحوك: فلان قام بكذا، فلان فعل كذا، فلان ما شاء الله تبارك الله، فلان اللّهُمَّ بارك يفعل كذا وكذا ...الخ، فهذا يعارض الإخلاص، لا يجتمع إخلاص مع حب ثناء الناس.

لكن إذا كان يعمل الأعمال لوجه الله، فيصبح الناس يتحدثون، أو يصل إليه ذلك، فهذا من عاجل بشرى المؤمن، وهو فضل الله جل وعلا، وقد قال ربنا ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ يونس٥٨.

فهذا القسم الأول من معنى النية، وهو تمييز المعبود جلّ وعلا، المقصود به الإخلاص لله تبارك وتعالى.

[النية عند الفقهاء]

وأما القسم الثاني من النيات، وهو ما يذكره الفقهاء، والمقصود منه هو تمييز العبادة، أو تمييز عملٍ عن عمل، أن تُميّز عبادة عن عبادة، أو عبادة عن عادة، أو عادة عن عادة، بالنية، أن تميز صلاة الظهر عن العصر تنوي الظهر، ثم تنوي العصر، ثم تنوي المغرب، أن تصلي الصلاة وتنوي بها ركعتي الظهر القبلية أو البعدية أو ركعتي التوبة، أن تصوم تنوي به رمضان، أو تنوي قضاء رمضان، أو تنوي التطوع أو تنوي به عاشوراء، أو عرفة، أو تنوي به النذر الذي نذرته أو غير ذلك، ومثله قل في سائر العبادات، فهذا أيضا داخل في باب النية، ويتطرق إليه الفقهاء، وهذا باب واسع جدا جدا، يعني يشمل الكثير من مسائل الفقه، ومن ذلك وجوب النية في العبادات، هل هي واجبة أو ليست بواجبة؟ الصحيح أنها واجبة، وإن كان يتفقون على وجوبها في بعض العبادات، ويتفقون على عدم وجوبها في بعضها، ويختلفون في بعضها، فبالاتفاق أن النية واجبة في الصيام، مع أنهم يختلفون في بعض أنواع الصيام، ويتفقون على وجوب النية في الحج.

ويتفقون أن النية ليست واجبة في إزالة النجاسة، ويتفقون على عدم وجوب النية في رد الودائع أو المغصوب، لا تجب النية، فلان غصب من فلان ثوبا في يده، فتأتي الريح فيطير من يده ويرجع إلى صاحبه، ما نوى أن يرده، هل برئت ذمته؟ عليه إثم الغصب فقط، يلزمه أن يتوب، أما إرجاع المتاع إلى

صاحبه فقد رجع، مع أنه دون نية، إنسان أصابته في ثوبه نجاسة فأصابه ماء السماء المطر، فزالت النجاسة، هل نقول لابد أن يذهب وينوي غسلها وإزالتها؟ لا يلزم، فهذا اتفقوا أنه لا تزلم فيه النية.

لكن بعض العبادات محل خلاف، كالوضوء مثلا فجمهور العلماء أنه تجب فيه النية، خلافا للأحناف فالأحناف يقولون تجب النية في التيمم فقط، ولا تجب في الوضوء، والجمهور على أن النية واجبة في الوضوء والغسل والتيمم، لأن الوضوء من الأعمال، يعتبر عملا، وقد قال صلى الله عليه وسلم (**و اعلَموا أنَّ خيرَ أعمالِكم الصلاةُ، ولا يحافظُ على الوضوءِ إلا مؤمنٌ**)[1]، قد ذكر في الحديث الوضوء، فهو يعتبر من الأعمال، وقد جاءت أحاديث كثيرة تدل على أن الوضوء فيه ثواب، وفيه أجر، وأنه عمل مستقل بذاته، فالأقوى والأظهر أنه تجب فيه النية وقد قال الله تبارك وتعالى {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ}المائدة٦، أي إذا أردتم، والإرادة فيها نوع نية.

وتدخل النية أيضا في مسائل الزكاة، وكذلك في الصيام، وهذا بابه مسائل الفقه، وفي الحج، وفي العمرة، تدخل في النكاح، في الطلاق، في البيع، في الشراء، في الإجارة، في أنواع العقود، تدخل في الأيمان -في الحلف-، وفيها مسائل متشعبة، وفي مسائل فرعية كثيرة وكثيرة جدا.

[التلفظ بالنية بدعة]

ومن المسائل أيضا أن النية لا يتلفظ بها، فمحلها القلب، والتلفظ بها يعدّ من البدع، كما قال أهل العلم، فلا يشرع التلفظ بالنية، وإنما محلها القلب، وهذا في قول جمهور العلماء، وإن كان من الشافعية من يرى الجهر بها، بعضهم قال يجهر بها، وبعضهم ينسب هذا القول حتى إلى بعض الحنابلة، لكن جمهور العلماء على أن الجهر بالنية يعد من البدع، وإن كان ينقل عن الشافعي وبعض الحنابلة، وقال بذلك بعض المتأخرين من المالكية، لكن الصحيح أن المشهور عندهم أنها تعدّ من البدع.

ونقْل هذا القول عن الشافعي رحمه الله كما قال بعض أهل العلم هو خطأ في الفهم، لأن الشافعي رحمه الله قال: لا تُبدأ الصلاة إلا بالجهر، يعني إلا بكلام، والمقصود هو التكبير، ففهم بعضهم من ذلك أنها النية، فقال بمشروعية الجهر بالنية، والصواب أنه لا يجهر بها بل ولا يسرّ بها باللسان، إنما محلها القلب،

[1] [السلسلة الصحيحة ١١٥: إسناده حسن]

فهي في القلب ولا يتكلم ولا ينطق بها، ولا بد من النية لتمييز العبادة عن أخرى، أو عبادة عن عادة كما ذكرتُ.

[التقدير الذي في (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ)]

فهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم (**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**)، هاهنا يختلف العلماء في التقدير، هل هناك تقدير أو الأمر على عمومه؟ هل المقصود: إنما الأعمال المعتبرة بالنيات؟ هل المقصود: إنما الأعمال صحيحة بالنيات؟ أو: إنما الأعمال مقبولة بالنيات؟ هل المقصود: إنما الأعمال الشرعية بالنيات؟ هذا خلاف بين أهل العلم، والصواب أن الحديث على عمومه، فـ(**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**) مطلق العمل، عموم العمل بعموم النيات، فكل عمل بحسب نية صاحبه، وما أراده من ذلك (**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**) فهنا المراد جنس العمل، والمراد جنس النية، فقد يكون العمل واحدا، والنية صالحة، أو النية فاسدة، وقد تكون النية صحيحة والعمل قد يكون صحيحا وقد يكون فاسدا، وهلمّ جرا.

[استطراد حول من أسس سفرا لمعصية وأراد أن يترخّص]

ولهذا يفرّق العلماء في العمل الواحد بين النيات، قد تكون النية صحيحة وقد تكون النية فاسدة، إنسان يسافر ليحج نيته صحيحة، إنسان يسافر ليقطع الطريق، إنسان يسافر ليقتر بغير حق ...الخ نية فاسدة، ولهذا قال جمهور العلماء إن صاحب النية الأولى له أن يترخص بالرخص الشرعية، الذي يسافر لصلة الرحم، والذي يسافر للحج، لعمرة، لفعل واجب أو مستحب، في سفره له أن يفطر إن كان في رمضان، له أن يقصر في الصلاة، له أن يجمع الصلاة، له أن يترخص إن أصابته جائفة، أو أصابه جوع، أشرف على الهلاك، لأن سفره سفر طاعة، حتى لو أنه وقع أثناء السفر في المعصية، فأصل سفره سفر طاعة، فله أن يترخص، لكن إنسان سافر ليقتل، ليقطع طريقا، ليغصب ليتعدى فسفره سفر معصية، غير جائز، جمهور العلماء يقولون أن هذا لا يرخص له لا في الفطر في رمضان، ولا في قصر الصلاة، ولا في الجمع بين الصلاتين، ولا في غير ذلك من الرخص المتعلقة بالسفر، ليست الرخص المتعلقة بالحضر والسفر على حد سواء.

ولهذا هم يرون جواز المسح على الخفين للقسم الأول والقسم الثاني، لكن الأول يرخص له ثلاثة أيام ولياليهن، بخلاف هذا إنما يرخص له يوم وليلة فقط، لأنه يرخَّص بالرخص المتعلقة بالحضر، أما المتعلقة بالسفر فلا يرخص له فيها، على خلاف بين العلماء، وإن كان الأصوب والله أعلم أن الرخص المتعلقة بالسفر ترخّص لكل مسافر، سواء كان عاصيا في سفره، أو كان عاصيا بسفره، فالأمر على حدٍّ سواء، لكن العاصي في سفره له إثم معصيته، والعاصي بسفره له إثم معصيته لكن هذا أشد إثما لأن الإثم مصاحب له في طول سفره، منذ خرج إلى أن يرجع فيستدرك فيتوب، فإنه ينقلب الأمر عند ذلك.

(إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ) فيستفاد أن لكل عمل نية، أيمكن للإنسان أن يعمل عملا دون نية؟ يمكن أن تعمل عملا بدون قصد، ترمي عصفورا فتصيب إنسانا فتقتله، الرامي أنت، وهل قصدت قتله؟ لم تقصد، فيمكن أن يعمل عملا دون أن يقصد، لكن لا يمكن أن يعمل عملا دون نية، يعني يمكن أن يرمي دون أن يرمي؟ لا يمكن، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إن النية محلها القلب، ولهذا لا يتكلم بها، ولذلك فسدُّ الباب عن أهل الوسوسة، الموسوسين هو أن يتعلم هذا العلم، وأن يعرف أن النية محلها القلب، لا يتكلم بها.

بعض الناس يأتي ليصلي (نويت لأصلي صلاة الظهر فرضا مقيما في المسجد خلف إمام) بقي أن يسميه فقط! هذا كله ليس من الشريعة في شيء، لا دليل عليه، تأتي وتكبّر، لو قبل أن تكبّر أسألك ماذا ستصنع؟ تقول: سأصلي الظهر، أو العصر أو المغرب، إذن نيتك في قلبك، ذاك الذي يريد الله جل وعلا، أن تكون ناويا الصلاة، أو العمل الذي تريده.

[الأجر بحسب النية]

(إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ) فلكل عمل نية، وإنما يجازى العبد بعمله على قدر نيته، فكلّ عمل بنية، **(وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى)** ليست العبارة واحدة، **(إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ)** أي كل عمل له نيته، وأنت أيها العامل ما لك من عملك؟ لك من عملك ما نويت، **(وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى)** ثوابا وأجرا على عمله بحسب نيته، فكل عمل بنيته، وليس لك من عملك إلا بحسب ما نويت، فإذن إذا أردت أن تصوم تنوي الصيام، ماذا عندك من صيامك؟ بحسب نيتك.

ولهذا قال شيخنا ابن عثيمين رحمه الله: إذا جاء ليتوضأ فيستحضر نية وجوب الوضوء، ونية أنها طاعة وطهارة، وتطهر بين يدي الله جل وعلا، وبنية موافقة السنة، ونية وضوئه في البيت ويذهب ماشيا، وله بكل خطوة رفع درجة، وحط خطيئة، ونية الاستجابة لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وغيرها من النيات، الذي يجمع هذه النيات مثل الذي يأتي بنية واحدة رفع الحدث وانتهى؟ لا، الذي له نية رفع الحدث فقط، ومن له ونيات أخرى ليسا سواء.

(وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى) فالثواب والعقاب في الأعمال بحسب نية العبد، وميزان العمل وقدره ثوابا وأجرا بحسب نية العبد.

[فوائد متفرقة من الحديث]

ويستفاد من الحديث بيان ميزان ومنزلة النية في الأعمال، **(إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى)**.

(فمن كانت هِجْرَتُه إِلَى اللهِ ورسُوله فهِجرتُه إِلَى اللهِ ورسولِه) الجملة واحدة، لكن المعنى غير، لأنه مُقدَّرٌ فيه: من كان عمله لله ورسوله نية وقصدا، فإنه لله ورسوله ثوابا وأجرا، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله نية وقصدا، فهي لله ورسوله أجرا وثوابا، أما من كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه فهذا ما له من نيته، فالعمل واحد لكن هذا نية وذاك نية، وهذا يدل على أن **(إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ)** يفيد العموم، ومثل هنا بالهجرة، ومثل بالهجرة لله ورسوله، ومثل بالهجرة لدنيا، تجارة وغيرها، ومثل بالهجرة للزواج بامرأة، كما أن هذا يدل على أنه يشمل القول والفعل، والترك، لأن الهجرة ترك كما ذكرتُ.

وقد تتشابه الأعمال ويكون بينها كما بين السماء والأرض، وإنما الفارق في ذلك هو النية كما جاء في الحديث، فهذا هاجر، وهذا هاجر، هذا لله ورسوله، وهذا من أجل امرأة أو دنيا أو غير ذلك، فكل منهما هاجر ولكن اختلفت النية واختلف الثواب، واختلف الأجر.

كما يستفاد من الحديث أيضا أن بالنية قد يحوّل الإنسان المباح إلى طاعة، الشيء المباح بالنية يتحول إلى طاعة، والأمثلة في هذا الباب كثيرة، الطعام مباح لكن إذا أكل يقصد التقوّي فإنه طاعة، النوم

مباح لكن إذا نام قصد التقوّي على الطاعة فإنه طاعة، لهذا قال صلى الله عليه وسلم (**إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي**)[1]، كما أحتسب قيام الليل وننتظر الأجر من الله، أيضا أنتظره في نومي، لأنه ينام ليتقوى على طاعة الله عز وجل.

ومن فوائد الحديث كذلك ضرب الأمثال لتقريب الفهم إلى الناس، فيؤخذ منه أدب في التعليم من أحكام وآداب التعليم ضرب الأمثال ليتقرب الفهم، فالنبي صلى الله عليه وسلم قال (**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**) ثم مثّل وبالمثال يتضح أكثر وأكثر المقال.

ومن الفوائد أنه لا ينبغي الإقبال على عمل يعرف حكمه حتى يصحح نيته فيه، فلربما يكون العمل يحتاج إلى نية معينة فيكون هو دونها فيكون عمله ناقصا.

ومن الفوائد أيضا أن رواية الواحد الثقة إذا كان في مجلس جماعة، فروى الحديث وحده ولم يروه عنه غيره، فذلك لا يقدح في صدقه، فعمر رضي الله عنه وحده روى الحديث، ولم يروه غيره من الصحابة، فلا يُقدح في ذلك، ومثل ذلك قاله العلماء في علقمة، وفي محمد بن إبراهيم، ويحي سعيد الأنصاري رحمة الله تعالى على الجميع، فلا يُعلّ بمجرد هذا، إلا باعتبار قرائن وأمارات فلا يُعلّ الحديث أنه رواه فلان ولم يروه غيره، فلمَ لم يروه غيره؟ نقول: مادام ثقة ثبتا حافظا يحتمل هذا التفرد فروايته تُقبل، نعم من العلماء من يُعلّ بالتفرد لكن بقرائن معينة ومعتبرة، فليس دائما إذا كان الحديث قيل في مجمع من الناس، ولم يروه من هؤلاء إلا واحد يكون هذا التفرد قادحا فيه!، ليس دائما بالضرورة، قد يكون قادحا، والعبرة في هذا بالقرائن كما قال أهل العلم.

كذلك من الفوائد أنه ما لا يعتبر عملا لا يحتاج إلى النية، كمثل الجمع بين الصلاتين، تصلي الظهر والعصر جمع تقديم أو جمع التأخير حال السفر عندما تكون الرخصة بشرطها، فهاهنا هذا جمع لا يحتاج بالضرورة إلى نية، وأن يكون ناويا للجمع، بعض الناس يصلي الظهر، وإذا سلّم قصرا في السفر، أراد أن يصلي العصر فيقول: أنا لم أنو الجمع فلا أصلي العصر، نقول لا له أن يجمع بين الصلاتين ولا يلزم بالضرورة أن يكون قد نوى القصر قبل ذلك.

[1] [صحيح البخاري ٤٣٤٤]

أيضا من الفوائد أن كل عمل يحتاج إلى نية لقوله صلى الله عليه وسلم (**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**) فالجمع مقابل الجمع، فكلّ عملٍ له نية.

(**وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فمن كَانتْ هِجرتُه إِلَى اللهِ ورَسوله فهجرَته إلى اللهِ ورسولِه**) ولابد أن نعتبر أن أصل الهجرة، هي أن تهجر ما نهى الله عز وجل عنه لله تبارك وتعالى (**فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**)

والله أعلم.

****